رمز الأسطورة في الشعر العربي المعاصر

الأستاذة: آمنة حشماوي

الرمز هو قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء، إذ أنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة، فهو تقنية كثر استخدامها في الشعر العربي، وهي وسيلة يعتمدها الشاعر للإيحاء بدل المباشرة والتصريح، وهو لا ينهض عن محاكاة الواقع، إنما ينطلق منه ويتجاوزه لإنشاء علاقات جديدة مرتبطة بعالم الشاعر وهو أنواع: الرمز الأسطوري ، الديني ، التاريخي ، الطبيعي.

Le symbole est avant tout un sens caché de l'inspiration, comme il était la langue qui commence quand la fin du poème, il est une technique utilisée dans le poème arabe, ce dernier est un moyen adopté par le poète a suggéré la déclaration et non pas de l'allocation directe, il ne se lève pas pour simuler la réalité, il vient de dépasser cette dernière pour la création des nouvelles relations liées au monde du poète, ces types comme suit : symbole légendaire, religieuse, historique, naturel.

تمارس الأسطورة في شعرنا العربي المعاصر حضورا لافتا استدعى الكثير من الدراسات التي نشأت حولها حيث يعد التوظيف الأسطوري من الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشّعر الجديد، وقد اتخذ الشّعراء المعاصرون الرّمز كأداة للتعبير واهتموا بها خدمة لغاياتهم حيث عرف الشّعر العربي المعاصر تطورات كثيرة فتحت المجال لكتابة العديد من القصائد والدواوين

اعتمد فيها بعض الشّعراء الرّمز كأداة للكتابة، لذا فقد بدأت القصيدة العربية الخروج من حيز التقليد الذي فرضه القدامى على القصيدة وفق نمطها الغنائي أي القصيدة المتكاملة وذلك نتيجة للتطور الطبيعي عند المهجريين والشّعراء الذين اهتموا بالمذاهب الأدبية وتأثروا بها كالرومانسية والمدارس الغربية الأخرى عبر التلاقح الثقافي، ومن هنا فقد تولدت رغبة في التجديد في كل مجالات الحياة وأصبح الاعتماد على الرموز الأسطورية والتاريخية من أهم سمات القصيدة العربية المعاصرة منذ بداية تشكلاتها الأولى وانعطافها عن الشكل الشّعري التقليدي ولهذا يمكننا القول بأن الشّاعر المعاصر كان يتتبعها أنى كانت ، فكانت أولى اهتماماته خلق رموز أسطورية سواء مستحدثة يلتقطها من الواقع أو تاريخية يستمدها من التاريخ الثقافي والعمل على جعل تلك الرموز تستقطب جميع مفاصل النص الشّعري.

فالرّمز لغـة هو الإشارة أو الإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليدين أو اللسان فيقال : «رمز، يرمز ويرمز رمزا أو المرأة الرّمازة هي الزانية السافلة، والرّميز الرجل الكثير الحركة» [1].

أمّا اصطلاحا فإن مصطلح الرّمز كغيره من المصطلحات الأدبية الشّعرية النظرية و نادرا ما نجد مصطلحات كهذه تحدد له تعريفا واحدا « إذ نجد أن الرّمز هو علامة تعتبر ممثلة لشيء آخر والدالة عليه، وفي معناه هو ما أخفي من الكلام، إذ يستعمل المتكلم

الرّمز إذا أراد إخفاء أمر ما عن كافة الناس فيضع للكلمة التي يريد إخفاءها اسما آخر من أسماء الحيوان أو الطيور أو سائر الأشياء».[2]

«و يطلق الرّمز عند الفرنسيين على شكل أو علامة أو أي شيء مادي له معنى اصطلاحي كالكلب، يرمز له بالأمانة والحمامة يرمز لها بالسلام و كالرموز التي تدل على العناصر الكيميائية أو كالعلامات التي تدل عل قطع النقود مشيرة إلى مواقع ضربها».[3]

وكلمة الرّمز يعود أصلها و معناها الأول إلى عصور موغلة في القدم لا يعرف مداها التاريخي، «و تعني عند اليونان مثلا قطعة من فخار أو خزف تهدى للزائر الغربي كعلامة على حسن الضيافة، وكلمة الرّمز مشتقة من فعل يوناني يحمل معنى الزمن المشترك ، أي اشتراك شيئين في مجرى واحد وتوحيدهما، وهذان الشيئان هما: الرامز و المرموز». [4]

وجاء **في لسان العرب لابن منظور** : «الرّمز تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم اللفظ من غير إبانة بصوت وإنّما هو إشارة بالشفتين و الرّمز في اللّغة كل ما أشرت إليه بيد وعين» .[5]

ولهذا فقد أقبل شعراء العصر الحديث على الرّمز الأسطوري إقبالا واسعا، أمّا عن الدّوافع التي جعلتهم يلجؤون إليه فتعود إلى أسباب منها:

- ✓ تلبية الحس الحضاري و تقليد المبدعين الغربيين.

✓ تجنب الرتابة والرغبة في التجديد و رفض التصريح.
✓ البعد عن التسطيح في الفكرة وطلب التداعي الحر للمعاني.
✓ الخوف من السلطة و الرغبة في إثارة المتلقي.

وكان اعتماد الشّعر العربي الحديث على التراث عند بعض الشّعراء يتجاوز شروط الاستفادة منه ، بحيث لا يغدو بدائيا يلتحم ببقية العناصر الأخرى ويذوب في قلب القصيدة مما يسبب إشكالات عدة في القراءة والفهم، ويمكن حصر مقاييس الاستفادة هذه في ثلاث نقاط أساسية:

✓ امتلاك الشّاعر رؤية ذاتية نقدية .
✓ تحقيق العلاقة الجدلية بين الموضوعية والتاريخية تثري التجربة الشّعرية الحديثة وتضفي عليها أبعاداً فنية و إنسانية لم يكن من الممكن استحضارها بدونه.
✓ تفتح أمام الشّاعر والقارئ أفقًا غامضا يوحي بدلالات متنامية، فشخصية (وضّاح اليمن) التاريخية رمز الشّاعر الفنان الطموح المخلص لفنه و المضحي لأجل قضيته رمز للحب كعالم امتلاء و كفاية للشعر الذي يمارس فعالية في الوجود، «حيث يقول البيّاتي:

يصعد من مدائن السحر ومن كهوفها وضاح
متوجا بقصر الموت ونار نيزك يسقط في الصحراء
تحمله إلى الشام عندليبا برتقاليا مع القوافل: السعادة و ريشة حمراء» (6)

والرّمز لا ينهض عن محاكاة الواقع و إنما ينطلق منه و يتجاوزه لإنشاء علاقات جديدة مرتبطة بعالم الشّاعر ، و في هذه المرحلة يصبح الشّعر اكبر صفاءً و تجريدا لأنه يقدم صورا حسية توحي بما هو معنوي ، حيث يرى «كارايونغ» أن الرّمز « أحسن طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له معادل فكري آخر ، ومن الحق أن مضمونه المنطقي أو العقلي يستطاع إدراكه و فهمه ، لكن مضمونه اللامنطقي لا يمكن تفسيره تماما، و إنما يلتقطه الحدس».[7]

والرّمز كخيار جمالي وكتقنية فنية لا يقحمه الشّاعر مباشرة في القصيدة بشكل اعتباطي ولكن يدمجه بطريقة مدروسة، و أهم المصادر التي يستقي منها الشّاعر رموزه نذكر: الرموز الموجودة سلفا في المشهد الثقافي و التراث الإنساني كتوظيف الأساطير و التراث الشعبي والديني و يعمل على توظيف هذه الرموز في ضوء الواقع الشّعري المعاصر، و الرّمز أنواع: منه الأسطوري و الديني و التاريخي الشعبي، و سنقف هنا عند هذه الأنواع.

1/ الرّمز الأسطوري :

الأسطورة(الخرافة): «هي القصص الخيالية التي نسجتها مخيّلات الشعوب في العصر الأسطوري و تبرز فيها قوى الطبيعة في صور كائنات حية مبتدعة الحكايات الدينية و القومية وغيرها و قد جسدها الأدباء في الملاحم و المآسي، ومن ذلك ملحمة (**جلجامش، و الإلياذة والأوديسية ومأساة أوديب ملكا وغيرها**) .[8]

ولهذا فالمتأمل في طبيعة الرّموز التي يزخر بها الشّعر المعاصر يتفطن للظاهرة في تجربة الشّعر الجديد وهي الإكثار من استخدام الرّمز الأسطوري و هذا» يعكس انزياح اللغة المنطقية إلى اللّغة الرّمزية ، فهذا يجمع عدة نواميس كونية و يحاكي شخصيات تراثية كان لها الأثر الكبير في تشكيل الذهنية الخيالية للشعوب القديمة «.[9]

وكما يقول **عز الدين إسماعيل**: « وقد شكل التوظيف الأسطوري في القصيدة المعاصرة ميدانا خصبا في الدراسة النقدية الحديثة، إذ ليس من الممكن لأي ناقد أن يتعرض لدراسة وافية من كل جوانبها ، و أن يهمش جانب الأسطورة منها، هذا الكم الخيالي الواسع الذي لا يتحدد بزمان أو مكان خاص و بذلك يبقى فضاءً واسعا يسمح للشاعر بأن ينقل أحاسيسه وتجاربه في قالب رمزي شعري يؤثر في ذات القارئ و بذلك يكون الرّمز الأسطوري الجسر الذي يصل الشّاعر بجمهوره».[10]

ومن أشهر تلك الرّموز الأسطورية :

- ✓ **السّندباد**.....رمز الرحلة و المغامرة.
- ✓ **سيزيف**.....الاستمرار، العمل و النضال و الصراع.
- ✓ **ابن سيرين**.....رمز العلم و الزهد و الورع
- ✓ **أثينا**.....رمز الحكمة و التخطيط المحكم في الحروب.
- ✓ **فينوس**.....رمز القوة الخلاقة و الجمال و الحب.
- ✓ **أفروديت**.....رمز الحب و الجمال.

كما توجد شخصيات تاريخية قديمة و حديثة دخلت مجال الأسطورة، مها شخصيات دينية وأخرى سياسية أشهرها:

أ-محمد صلى الله عه وسلم....رمز المواقف البطولية والنضال من اجل المبادئ السامية.

ب- يوسف عليه السلام.....رمز الجمال و المعرفة والخير وحسن التدبير.

ج- أبو زيد الهلالي...رمز البطولة العربية.

د- عنترة...رمز القوة، الشدة، البطولة، العفة والوفاء .

2/ الرّمز الطبيعي:

كانت الطبيعة منذ القدم وستظل مصدر الهام الشّعراء والفنانين ومنبعهم الذي يغرفون منه من دون أن يجف ،حيث « تتجلى المظاهر و المناظر الطبيعية في قصائد وأشعار لا تعد ولا تحصى سواء في القصيدة القديمة أو الحديثة، فالطبيعة في حد ذاتها وحي من الله إلى الإنسان وهي كلمات تمثلت في المخلوقات والعلاقة بينها وهي لغة إلاهية في شكل رموز وصور، والإنسان أو الفنان المتأمل وحده من يستطيع فك هذا الغموض الإلهي وقراءته».[11]

ولهذا فقد شكلت الطبيعة مجالا رحبا للشعراء و الفنانين « وهو الشيء الذي جعل عدة قصائد و أشعار تضم في طياتها مناظر رموز

طبيعية تم توظيفها في حقب زمنية مختلفة»[12]، ومن أهم الرموز الطبيعية:

المطر: رمز للخير و العطاء أو الغضب (حسب الموضوع أو المدلولات الشعورية الخاصة).

إضافة إلى البحر، الثلج، النجوم، الحشيش، النهار، الليل، السماء، الشمس، الحمام، الجبال.....الخ، كما أن هناك الرّمز الديني كالأنبياء ،الرّسل، الصّحابة، التابعين والعلماء، المعارك والغزوات، والأماكن المقدسة مثل مكة المكرمة، البصرة، بغداد القدس، غار حراء، غار ثور.....الخ، كما أن هناك الرّمز التاريخي .

وفي الختام لا يمكننا إلا أن نعتبر أن الرّمز تقنية كثر استخدامها في الشّعر المعاصر اتخذها الشّاعر وسيلة للإيحاء بدل المباشرة والتصريح، فينقل القارئ إلى المستوى المباشر للقصيدة إلى المعاني والدّلالات التي تكمن وراء الكلمات ،كما يقوم باستعمال ما تعجز الكلمات عن تبيانه.

إحالات وهوامش:

1. محمود لبن يعقوب بن محمد إبراهيم الفيروزبادي، **قاموس المحيط**، تقديم وتحقيق يحي مراد، (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2008 ، ص 468).

2. أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات في النقد العربي القديم**،(بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 2011، ص 24).

3. درويش الجندي، **الرّمزية و الأدب العربي الحديث**، (مصر : منشورات مكتبة النهضة ، مطبعة الرسالة، 1950، ص 70).

4. ياسين الأيوبي، **مذاهب الأدب «معالم وانعكاسات الرّمزية»**،(لبنان: المؤسسة العربية للنشر ج 2، ط1، 1982، ص 08).

5. محمد حمود، **الحداثة في الشّعر العربي المعاصر» كيانها ومظاهرها»**، ص 119.

6. إبراهيم الرماني، مقالة بعنوان: **الرّمز في الشّعر العربي الحديث**، مجلة اللغة و الأدب يعدها معهد اللغة العربية وآدابها - جامعة الجزائر- ، (بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية، ص77،78).

7. مصطفى ناصف، **الصورة الشّعرية**، (بيروت :دار العلم للملايين ، ط 1 ، ص44).

8. خليل موسى، **الحداثة**،(المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع، ط 1، ص108)

9. إيليا الحاوي، **الرّمزية و السريالية في الشّعر العربي**،(بيروت: دار الثقافة، ط 1 ، 1980، ص18).

10. عز الدين إسماعيل، **الشعر العربي المعاصر «قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية»**، (بيروت: دار العودة ، ط3، 1972، ص224).

11. كاميليا عبد الفتاح، **القصيدة العربية المعاصرة «دراسة تحليلية في البنية الفكرية و الفنية»**، (الإسكندرية : دار المطبوعات الجامعية، 2006، ص 37).

12. محمد فتوح أحمد، **الرّمز و الرّمزية في الشّعر العربي المعاصر**،(مصر : دار المعارف للطباعة، 1977، ص311).